

الحلافات السياسية بين الإنجليز والفرنسيين إبان الحملة

الصليبية الثالثة ١١٩٠-١١٩٢ م

تعتبر الحروب الصليبية إحدى مراحل الصراع بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، وقد استغل الصليبيون ما اعتري المسلمين من ضعف وتفكك ونجحوا في تكوين أربع إمارات لاتينية في الشرق إبان الحملة الصليبية الأولى وهي : إمارة الرها عام ١٠٩٧ م ، إمارة أنطاكية عام ١٠٩٨ م ، مملكة بيت المقدس عام ١٠٩٩ م وأخيراً إمارة طرابلس عام ١١٠٩ م . ولكن سرعان ما أفاق المسلمون من غفلتهم وسبأتهم العميق وأخذوا يوحّدون قواتهم من جديد ليتصدوا لهذا الخطر الذي هدد وجودهم وكيانهم ، واضطلع بتلك المهمة عدد غير قليل من رواد الجهاد الأول في مقدمتهم عماد الدين زنكي أمير حلب الذي نجح في استرداد إمارة الرها عام ١١٤٤ م ، ومن بعده نور الدين محمود ثم صلاح الدين الأيوبي الذي تمكن من توجيه ضربة قاسمة للصليبيين في معركة حطين عام ١١٨٧ م ، وتمكن على إثرها من إستعادة مملكة بيت المقدس الصليبية وتقليم أظافر إمارتي أنطاكية وطرابلس .

كان لإستعادة المسلمين لمملكة بيت المقدس من أيدي الصليبيين أثر كبير في قيام الحملة الصليبية الثالثة التي اشترك فيها ثلاثة من ملوك أوروبا هم فردريك بربروسا إمبراطور ألمانيا وريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا وفيليب أغسطس ملك فرنسا وممثلون عن دول أخرى من أوروبا (١) وكان الإمبراطور الألماني أول من تحرك صوب الشرق متخذاً الطريق

(1) Jacques De Vitry , The history of Jerusalem A.D 1180, trans From original latin by Aubrey Stewart, M.A, in P.P.T.S,T.IX,London,1896, pp. 106 – 107 ; Roger Of Hoveden , The Annals, Comprising the history of England and other countries of Europ from 732 to A.D1201, trans by Henry T.Riley , 2 vols, New York, 1968,V.2 in Internet medieval source book, p. 67 , 69 , 75 ; Nikitas choniates , Ocity of Byzantium Annales of Nikitas choniates , by Harry Magoulas , Detroit,1984, p. 229

البرى إلى القسطنطينية عبر هنغاريا، ولم يلبث أن مات غريقاً في أحد أنهار آسيا الصغرى، ولم يصل من جيشه الجرار سوى ثلاثمائة فقط من الفرسان بقيادة ابنه فردريك دوق سوابيا (١). أما ملكا إنجلترا وفرنسا فقد توجهوا إلى الشرق عن طريق البحر (٢)، بعد أن أبرما معاً معاهدة في فيزيلاى ١١٩٠ م تنص على تقسيم جميع الغنائم والفتوحات التى سيتم الاستيلاء عليها من أيدي المسلمين في بلاد الشام بالتساوى، وأدى كل منهما قسم الولاء للآخر (٣). كما اتفق الملكان على أن من سيصل إلى مسينا Massina في صقلية أولاً عليه انتظار صاحبه (٤)، وقد وصل بالفعل فيليب أغسطس ملك فرنسا أولاً في ١٤ سبتمبر

(١) لمزيد من التفاصيل عن الحملة الألمانية انظر :

Historia de Expeditione Fridrici imperatoris et Qvidam Alii Rervm Gestarvm Fontes Eivsdem Expeditions, von, chroust, Berlin, 1928, p. 61

انظر أيضاً : ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج ١-٣، تحقيق د. جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٥٣ م، ج ٢، ص ٣١٧-٣١٩، ٣٢٩-٣٣٠؛ العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (العصر الأيوبي)، ج ٢، ٥٧٩ هـ-٥٨٩ هـ / ١١٨٢-١١٩٣ م، تحقيق محمود رزق محمود، دار الكتب والوثائق = القومية بالقاهرة، ٢٠٠٤، ج ٢، ص ١٢٩، ١٤٦-١٤٧؛ أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج ٢ في مجلد واحد، القاهرة ١٢٨٨ هـ. ج ٢، ص ١٥٠؛

CF. also : Grousset, Histoire des croisades et du Royaume France de Jerusalem, 6 Toms, Paris, 1981., T.6, p. 107, 114.

(٢) ذيل وليم الصورى، حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠ م. ص ١٨١؛ Archer, The crusades story of latin kingdom of Jerusalem, London, 1914, p. 313؛ انظر أيضاً : سعيد عاشور : الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامى في العصور الوسطى، ج ٢، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٤، ج ٢، ص ٦٧٨.

(٣) Geoffrey De Vinsauf, Crusade of Richard Coeur De Lion, in chronicles of the crusades, London, 1892, pp. 159 - 160.

أنظر أيضاً : مؤرخ مجهول : الحرب الصليبية الثالثة، ج ٢، ترجمة وتعليق : حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠ م، ج ١، ص ١٩٤-١٩٥؛

أنظر أيضاً : زينب عبد القوى : الإنجليز والحروب الصليبية في الفترة من ١١٨٩ - ١٢٩١ م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط ١، القاهرة، ١٩٩٦، ص ١٢٢

(٤) مؤرخ مجهول : الحرب الصليبية الثالثة، ج ١، ص ١٩٥.

١١٩٠ م ، وتلاه الملك ريتشارد ، الذى ذهب لرؤية أخته جوانا (١) ، التى كانت فى هذه الفترة تقيم فى بالرمو بصقلية ، فقد مات زوجها وليم الثانى ملك صقلية ، وقام الملك تنكريد ليتشي Tancred Lecce (١١٨٤ - ١١٩٤ م) الذى اعتلى العرش بعد وفاة زوجها برعايتها والاهتمام بأملاتها ، وأراد الملك ريتشارد أخو جوانا أن يعيد إليها كل حقوقها التى عند تنكريد واستعاد دوقيتها منه (٢) .

وفى مسينا ، ظهرت بوادر الخلاف والعداوة بين الملكين ؛ فقد رفض سكان مسينا السماح لجيش ريتشارد بدخول المدينة للتزود بالمؤن والحقوق الأذى بجيشه الصليبي ، فاضطر الملك ريتشارد إلى مهاجمة المدينة والاستيلاء على بعض أبراجها بالقوة (٣) ، وعندما رأى الفرنسيون أعلام ملك إنجلترا ترفرف فوق أسوار المدينة ، ابدوا إستياءهم وغضبهم لما قام به الملك ريتشارد ، واتفقوا على إرسال وفد من قبلهم إليه يطالبه بإنزال راياته من فوق السور ليضع فيليب راياته مكانها ؛ ليكون هذا دليلاً من جانب ريتشارد على احترامه للملك فيليب واعترافاً بسيادته على المدينة ، فلما علم ريتشارد بهذا الطلب تميز من الغيظ ، وتدخل الوسطاء بين العاهلين لإنهاء هذا الخلاف ، وفى النهاية وافق ملك إنجلترا على تسليم الأبراج التى استولى عليها الملك فرنسا ووضع حراس من الجانبين عليها ، ورفعت رايات الملكين على أسوار المدينة فى محاولة من ريتشارد لتأكيد حسن نواياه لملك فرنسا (٤)

(1) Geoffrey De Vinsauf , Op.Cit., pp.163 - 164 ; Richard Devizes , crusade of Richard coeur de lion in chronicles of the crusades , London & New York , 1892.Op.Cit, p. 13 .

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع : المؤرخ المجهول : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٠ .

CF.also : Setton , History of the crusades (1189 - 1131), Edited by Robert Lee Wolff and Harry W.Hazard, London 1969., V.2 , pp. 58 - 59 .

(3) Richard Devizes , Op.Cit., p. 58 ;

مؤرخ مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج ١ ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ ؛ ٢١٢ - ٢٠٤ .

انظر أيضاً : ميخائيل زابوروف : الصليبيون فى الشرق ، ترجمة : إلياس شاهين ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨٦ م ، ص ٢٠٧ .

(٤) مؤرخ مجهول : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٢ - ٢١٤ ؛

Setton , Op.Cit., v.2 , p. 60 ;

انظر أيضاً : زينب عبد القوى : الإنجليز والحروب الصليبية ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

ومن المحتمل أن يكون إخضاع ريتشارد لمدينة مسينا قد أثر في رغبة تنكريد للإنسراع في وضع شروط صلح مع ريتشارد - لاستعادة مدينته - (١)، فقد اتفق ملكا إنجلترا وفرنسا على إرسال الرسل إلى تنكريد ملك صقلية لدفع تعويضات عما ارتكبه من الأخطاء وزاد الملك ريتشارد، فأشار على الملك تنكريد بتعويض أخته ملكة صقلية عن نصيبها الذي تستحقه من أموال زوجها الملك الراحل (٢).

وفي هذا الصدد يذكر " مؤرخ مجهول " أن ملك فرنسا بعث في السر كتاباً إلى الملك تنكريد يشير عليه فيه بألا يستجيب لمطالب ملك إنجلترا، ونصحه ألا يفرط في شئ من حقوقه، وأكد له أنه سوف يساعده ويقف إلى جواره، وحدث شقاق بين الملكين جعل الملك فيليب يصرح لريتشارد بتأييده لخصومه، فحاول فريق كبير من النبلاء إقامة السلام بين الملكين (٣).

ومهما يكن من أمر فقد أدرك الملك تنكريد خطورة استمرار النزاع بينه وبين الملك ريتشارد، فعرض استعداده لتقديم المال لعقد اتفاقية صداقة معه، ودفع أربعين ألف أوقية من الذهب، عشرون ألفاً منها صداقاً للملكة جوانا، والعشرون الأخرى مهر لإحدى بنات تنكريد إذا وافق الملك ريتشارد على زواجها من ابن أخيه آرثر، ووافق الملك على هذه العروض التي تقدم بها تنكريد (٤).

(1) Rivite Orton , The Shorter Cambridge medieval history, 2vols, v.1(the later Roman empire to the twelfth century), Cambridge, 1979. , p. 531 ; Setton , Op.Cit., p. 59

(٢) مؤرخ مجهول : الحرب الصليبية الثالثة، ج ١، ص ٢١٤ ؛

ويذكر في هذا الصدد وليم الصوري : أن الملك ريتشارد ألح على أخته جوانا أن تتبع بائنتها التي آلت إليها من زوجها واتفق على البيع مع الملك تنكريد . انظر : ذيل وليم الصوري، ص ١٩١ .

(٣) مؤرخ مجهول : المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٦-٢١٧ .

(٤) مؤرخ مجهول : المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٨-٢١٩ ؛

بينما يذكر وليم الصوري إن تنكريد دفع مائة ألف مارك وهذا المبلغ لقاء شرائه بائنة جوانا أخت ريتشارد . انظر : ذيل وليم الصوري، ص ١٩١-١٩٢ .

وسرعان ما علم الملك الفرنسي فيليب بذلك فطلب من حليفه نصف المبلغ ، إذ إنهما اتفقا في فيزلاى على تقاسم الغنائم مناصفة ، لكن ريتشارد لم يعط فيليب سوى ثلث الغنيمة ، وهذا رغبة منه في السلام مع فيليب ، وهو ما أثار في نفسه المزيد من الامتعاض والكره لريتشارد (١) .

وفي أوائل ١١٩١م حينما وردت أنباء القدوم الوشيك للملكة إليانور إلى مسينا ومعها عروس ريتشارد برنجاريا Berengaria ابنة ملك نافار سانكسو السادس (١١٥٠ - ١١٩٤م / ٥٤٥ - ٥٩٠هـ) (٢) ، وبذلك يكون ريتشارد قد خالف القسم الذى تعهد به منذ فترة طويلة باعتزامه الزواج من الأميرة آليس أخت الملك الفرنسي فيليب بناء على اختيار والد ريتشارد الملك هنرى (٣)

ولكى يتصل ملك إنجلترا من قسمه بالزواج من آليس تعلق بأنها كانت على علاقة آثمة مع أبيه (٤) ، وأبدى استعداده لتقديم الأدلة والبراهين التى تثبت خيانتها (٥) . واستعان ريتشارد بكونت فلاندرز وذلك لخبرته السياسية وفصاحته للتوسط لدى ملك فرنسا وإبلاغه برغبته فى التحرر من ذلك الزواج مقابل دفع مبلغ عشرة آلاف مارك ، والتخلى عن بعض المقاطعات . ومن الواضح أن الملك الفرنسي فيليب قبل هذه الإهانة وأعفى ملك إنجلترا من

(1) Setton , Op.Cit., v.2 , p. 60

أيضاً : ميخائيل زابوروف : الصليبيون فى الشرق ، ص ٢٠٦ ؛ زينب عبد القوى : المرجع السابق ، ص ١٢٥
فى حين يذكر " مؤرخ مجهول " أن ريتشارد حينما تسلم التعويض الذى طلبه من تنكيد قسم هذا المال من تلقاء نفسه إلى جزأين متساويين أخذ هو أحدهما وأعطى الآخر إلى ملك فرنسا . انظر : مؤرخ مجهول : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٩ .

(٢) مؤرخ مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج ١ ، ص ٢٢٥

(٣) ذيل وليم الصورى ، ص ١٩٤ .

(4) Richard Of Devizes, Op.Cit, p. 20.

(٥) زينب عبد القوى : الإنجليز والحروب الصليبية ، ص ١٢٥ .

قسمه بأن يتزوج أخته (١)، وأسرع بالإبحار من مسينا في ٣٠ مارس ١١٩١م متخذاً طريقه إلى عكا (٢)

وبعد مضي سبعة عشر يوماً من رحيل فيليب أغسطس (٣)، غادر ريتشارد مسينا وبصحبه أخته جوانا وخطيبته برينجاريا، قاصداً عكا، فلما وصل قرب قبرص هبت رياح شديدة أدت إلى تشتت سفنه، فجنحت بعض السفن إلى شاطئ ليماسول في قبرص ومن بينها السفينة التي كانت تقل الملكتين جوانا وبرينجاريا، وعندما علم إسحق كومنين (٤) ملك قبرص بجنوح سفن ريتشارد إلى ميناء ليماسول أراد الاستيلاء عليها، وأسر من بها من جنود ومصادرة ما معهم وتصرف تجاه برينجاريا وجوانا بأسلوب غير لائق، إذ رفض أن يزودهما بالماء العذب، وكان مصرّاً على نزولهما إلى الشاطئ (٥)

(1) Richard Of Devizes , Op.Cit., p.20.

(٢) ذيل وليم الصوري، ص ١٩٢ ؛

Richard Of Devizes , Op.Cit., p. 21;

CF. also : Elizabeth Hallom , chronicles of the crusades "Eye witness accounts of the wars between Christianity and Islam ", London, 1989, p. 182 .

(٣) مؤرخ مجهول : المصدر السابق، ج ١، ص ٢٢٧ .

بينما يذكر سيتون أن ريتشارد أبحر من مسينا في العاشر من أبريل ١١٩١ أي بعد عشرة أيام فقط . انظر Setton , Op.Cit., v.2 , p. 61 .

(٤) إسحق دوكاس كومنينوس نصب نفسه إمبراطوراً بعدما نجح في تمرد على بيزنطة وقت استخلاف إسحق أنجيلوس وحكم قبرص خمس سنوات ، ولم تكن له شعبية على الجزيرة لما كان يفرضه من ضرائب باهظة ، وكانت جزيرة قبرص تمديد بيت المقدس سنوياً بقدر كبير من المعونة ، لكن عندما حكمها إسحق أنجيلوس رفض مدها بهذه المعونة ، بل كان يقبض على الحجاج ويفرض عليهم ضرائب باهظة أو يأسرهم ، ولكرهه للصليبيين تحالف مع عدوهم صلاح الدين . ولزيد من التفاصيل انظر :

Ambrois , The Crusade of Richard Heart of Lion , Trans from the old French by Menton Jerome Hubert , with notes and documentation by J.L. La Monte , New York, 1943, p. 82 ; Nikitas Choniates , Ocity Of Byzantium , p. 197 , 204 . ;

مؤرخ مجهول : المصدر السابق، ج ١، ص ٢٣٥ . ذيل وليم الصوري، ص ١٩٧ ؛

أيضاً : ستيفن رانسيان : تاريخ الحملات الصليبية ، ج ٣ ، ترجمة : نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٩٨ ، ج ٣، ص ٨٣ ؛ سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م، ص ٢٥ .

(٥) لمزيد من التفاصيل حول تشتت أسطول ريتشارد وما كان من إسحق كومنينوس انظر :

وعندما وصل الملك ريتشارد إلى ميناء ليماسول وعلم بما حدث ، غضب غضباً شديداً خاصة بعدما رفض ملك قبرص السماح له بالرسو والتزول إلى الشاطئ وعندئذ طالب ريتشارد إسحق كومنينوس بتعويضه عما لحق بسفنه ورد ما سلبه منها ، فرفض ملك قبرص ذلك ، مما دفع ريتشارد إلى الانتقام منه والاستيلاء على الجزيرة .

وتصادف في هذا الوقت وصول رسول من فيليب أغسطس ملك فرنسا يطلب من الملك ريتشارد سرعة الإبحار إلى عكا للمشاركة في حصارها ، غير أن الأخير آثر الاستيلاء على قبرص أولاً وطلب من فيليب أن يمدّه بالمؤن اللازمة . وما كاد جى أوف لوزجنان يعلم بوصول الملك ريتشارد إلى قبرص ، حتى هرع إليه ومعه عدد من نبلاء بيت المقدس يعرض المساعدة عليه في الاستيلاء على الجزيرة مقابل تأييده له ضد خصمه كونراد أوف مونتفرات في صراعه على عرش مملكة بيت المقدس . وفي عام ١١٩١م نجح ريتشارد في الاستيلاء على جزيرة قبرص (١) ، ثم غادرها بعدما ترك بها حامية صغيرة تحت قيادة اثنين من المحاربين هما ريتشارد دي كامفيل وروبرت صاحب ثورنهام ليحكم الجزيرة باسمه وأوصاهما بإرسال المؤن إلى الصليبيين في بلاد الشام ، ثم أبحر هو إلى عكا (٢) وعلى أية حال ، ما كاد الملك

Geoffrey De Vinsauf , Op.Cit., p. 181 ; Richard Of Devizes , Op.Cit., p. 37 ; Ambroise , Op.Cit., pp. 80 – 81 ;

انظر أيضاً : العيني : عقد الجمان ، ج ٢ ، ص ١٧٧ – ١٧٨

(1) Ambroise , Op.Cit., pp. 99 – 108 . ; Smbat , La Chronique Attribuée , La Au connétable smbat, introuduction Et notes par Gérard Dé Déyan, Paris, 1980. p. 66 . ; Geoffrey De Vinsauf , Op.Cit., pp. 185 – 187 , 189 – 191 ; Nikitas Choniates , Op.Cit., p. 229 ; Jacques De Vitry , Op.Cit., p. 111 ;

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المؤرخ " ميخائريس " ذكر أنه في عام ١١٩٠م أتى كل من ريتشارد ملك إنجلترا وفيليب ملك فرنسا وسيد الداوية إلى قبرص واستولوا عليها ، (وهذا غير صحيح ، إذ أن فيليب ملك فرنسا كان محاصراً لعكا أثناء استيلاء ريتشارد على قبرص) . انظر :

Makhairas , Recital Concerning the Sweet Land Of Cyprus entitled Chronicle, Edited with A Translation and Notes By R.M.Dawkins 2vols , Oxford , 1932 . . , V.I , p. 19 .

انظر أيضاً : ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، مجلد ٤ ، ج ٢ ، عنى بتحريه نصه ونشره د / حسن محمد الشماخ ، البصرة ، ١٩٦٩ ، ص ٤ . ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٤٩ . ؛ العيني : عقد الجمان ، ج ٢ ، ص

(2) Nikitas Choniates , Ocity Of Byzantium , p. 229 . ; Smbat , Op.Cit , p. 66 .

ريتشارد يصل إلى عكا ليشترك في حصارها حتى دبّ الخلاف مرة أخرى بينه وبين ملك فرنسا فيليب ، فقد طالب الأخير ريتشارد بنصف جزيرة قبرص وذلك استناداً إلى معاهدة فيزلاى التى تنص فيها تنصه على أن لكل من الشريكين الحق في نصف ما يحرزه الشريك الآخر من مكاسب في الأرض المقدسة ، لكن ريتشارد رفض التنازل عن شبر واحد من الأرض القبرصية ، وأعلن أنه استولى عليها بمفرده وأن الاتفاق المبرم بينهما يقتصر فقط على الفتوحات التى تنتزع من المسلمين داخل إطار أراضي مملكة بيت المقدس (١) .

ومع ذلك فقد أبدى ريتشارد استعدادده للاستجابة لمطلب الملك فيليب إذا ما تنازل له الأخير عن نصف كونتية فلاندرز التى مات صاحبها أثناء الوباء الذى تفشى في المعسكر الصليبي المحاصر لمدينة عكا ، دون أن يكون له عقب يخلفه ، فانتقلت كونتيته إلى الملك الفرنسى فيليب بمقتضى القانون الإقطاعي ، بوصفه فضلاً من أفضاله ، ولم يكن تصرف ريتشارد هذا يبعيد عن الجراة ، ولم يسع أى منهما لتحقيق مطالبه ، وإنما ظل كلاهما يردد شكواه (٢) .

ومهما يكن من أمر فقد قام الملك ريتشارد ببيع جزيرة قبرص لفرسان المعبد مقابل مائة ألف بيزانت ، دفعوا منها ستين ألفاً وتعهدوا بدفع الباقي عند تسلم الجزيرة ، وبعد بيعه قبرص وقبضه الثمن أصبح ثرى ثراءً فاحشاً . وقد أسرعت أعداد غفيرة من الجنود لتسجيل أسمائهم في جداول الملك ريتشارد والعمل تحت رايته ، خاصة عندما دفع أربع قطع ذهبية

مؤرخ مجهول : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٦٠ .

انظر أيضاً : سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية ، ص ٢٩ .

(1) Ambroise , Op.Cit., p. 192 . ; Richard Of Devizes , Op.Cit., p. 39 . ;
CF. also : Alfred Duggan , The story of the crusades , first published, Great Britain, 1963 Op.Cit., p. 185.

= انظر أيضاً : البر شاندور : صلاح الدين الأيوبي (البطل الأتقي في الإسلام) ترجمة عن الفرنسية : سعيد أبو الحسن ، مراجعة وتحقيق : نديم مرعشلى ، ط ١ ، دمشق ، ١٩٨٨ ، ص ٣٢٤ . ؛ ستيفن رانسيان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٨٨ .

(2) Ambroise , Op.Cit., p. 191 ;

ذيل وليم الصوري ، ص ٢١٢ ، ٢١٦ ؛ مؤرخ مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج ٢ ، ص ١٨ ؛
CF. also : Setton , Op.Cit., v.2 , p. 68 . ; Alfred Duggan , Op.Cit., p. 185 ;

شهرياً لكل مقاتل ينخرط في خدمته دون اعتبار للبلد الذي جاء منه ، في الوقت الذي كان يدفع فيه الملك فيليب ثلاث قطع ذهبية فقط لكل جندي الأمر الذي دفع أعداد كثيرة من جنوده لهجره والدخول في خدمة الملك ريتشارد (١) ، وبذا أهان ريتشارد الملك الفرنسي فيليب الذي أسر ذلك في نفسه .

وشاء القدر أن يعطى سبباً آخر لاستمرار النزاع بين الملكين ، إذ أصيبا في آن واحد بالحمى (٢) ، فاتهم كل منهما الآخر بدس السم له (٣) ، وفي أثناء حصار مدينة عكا تجدد الخلاف بين العاهلين الذين حاول كل واحد منهما الفوز بالشهرة لنفسه . ففي الوقت الذي كان الملك فيليب منهمكاً في مهاجمة المدينة ، لم يحرك الملك ريتشارد ساكناً واحتفظ بقواته في الخلف (٤)

وعندما يتست حامية عكا الإسلامية من وصول أية نجدة إليهم من جانب صلاح الدين واشتدت وطأة الحصار عليهم ، أرسلوا رسلهم إلى ملك فرنسا عارضين عليه تسليم المدينة مقابل وعد بالأمان لهم ولملتكاتهم ، ووافق ملك فرنسا إلا أن الملك ريتشارد تميز من الغيظ عندما علم بتلك المفاوضات لأنه لم يُستشار في الأمر ، فقام بمهاجمة المدينة، وصب جام غضبه عليها رغم عهد الأمان الذي أعطاه فيليب لأهلها (٥) .

(1) Nikitas Choniates , Ocity Of Byzantium , pp. 229 – 230 ; Richard Of Devizes , Op.Cit., p. 63 ;

انظر أيضاً : إبراهيم خميس : جماعة الفرسان الداوية في كتاب دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٢ م. ، ص ٢١١ .

(٢) ذيل وليم الصوري ، ص ٢١٣ ؛ مؤرخ مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج ٢ ، ص ١٤ ، ١٧ ، ١٩ .

(٣) البير شاندور : صلاح الدين الأيوبي ، ص ٣٢٥ .

(4) Jacques de vitry , Op.Cit., p114.

ويذكر أن " الخلاف كان مستمراً بين فيليب وريتشارد عند عكا ، فعندما أراد فيليب مهاجمة عكا أراد ريتشارد تناول الغداء ، وعندما أراد ريتشارد الهجوم أصيب فيليب بصداغ " انظر : =

=General Editor, Esmond wright, the Medieval and Renaissance world (A history of civilization from the Dark ages to the Renaissance) published by, The Hamlyn publishin Group limited, 1979.p 94 .

(٥) ذيل وليم الصوري ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ؛

Richard devizes, Op.Cit., p. 41 .

ونتيجة لوطأة الحصار من جهة ، وعدم وصول النجذات إلى حامية المدينة من جهة أخرى ، اضطر المسلمون إلى طلب التسليم وبالفعل دخل الصليبيون عكا في ١١ يوليو ١١٩١ م (١) . ونكثوا بعهدهم وأسروا كل من كان بها من المسلمين وسلبوا أموالهم (٢) . وقسمت الغنائم فيما بينهم (٣) وبعد الإستيلاء على عكا عزم ملك فرنسا على الرحيل عائداً إلى بلاده بحجة استدعاء نبلاء فرنسا له ، إذ إن ابنه لويس قد مات وخاف فيليب إن هو مات في الشرق أن تصبح فرنسا بلا وريث ، وحيث إنه كان مريضاً فقد عد نفسه في حل من قسمه الصليبي ، وأنه قد أدى ما عليه من واجب ، وتخلّى للمركز كونراد عن الجزء الذي حازه من عكا ، وأوصى بأن تكون حصّة فرنسا من الفتوحات المقبلة من حق كونراد الذي سيديرها لحساب ملك فرنسا . وترك بقية جيشه تحت قيادة دوق برجنديا وأسقف بيوفاس (٤) ، وبرحيل

(١) مؤرخ مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج ٢ ، ص ٣٩ - ٤٠ ؛

Richard Devizes, Op.Cit., p 41 ;

ولزيد من التفاصيل انظر :

ابن الفرات : تاريخه ، مجلد ٤ ، ج ٢ ، ص ٢١ - ٢٢ . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة من ملوك مصر والقاهرة ١٢ ج ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٩-١٩٤٢ م . ج ٦ ، ص ٤٤ . العيني : عقد الجمان ، ج ٢ ، ص ١٩١ - ١٩٢ . ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ . المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١٥٦٨ هـ - ٦٦١ هـ ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٧ م . ج ١ ، ص ٢١٩ . ابن أبيك الدوادارى : كنز الدرر وجامع الغرر ، ج ٧ الدر المطلوب في أخبار بنى أيوب ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م ، ج ٧ ، ص ٩٩ .

David Nicolas, The Evolution of Medieval world: society, Government and thought in Europe 312 - 1500, first published, New York, 1992. p269.

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ج ٢ ، حققه وقدم له سهيل زكار ، دار الكتاب العربى ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٩٧ م . ج ٢ ، ص ٥٩٦ .

(٣) ذيل وليم الصورى ، ص ٢٠٩ ؛ مؤرخ مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج ٢ ، ص ٣٩ ؛ انظر أيضاً : يوشع براور : الاستيطان الصليبي في فلسطين (مملكة بيت المقدس) ، ترجمة : عبد الحافظ عبد الخالق البنا ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط ١ ، القاهرة ، ٢٠٠١ م ، ص ١٣٥ .

(4) Richard Of Devizes , Op.Cit., pp. 43 - 44

ذيل وليم الصورى ، ص ٢١٤ - ٢١٦ ؛ المؤرخ المجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج ٢ ، ص ٤٣ - ٤٥ ؛

فيليب في أغسطس ١١٩١م / رجب ٥٨٧هـ خلا الجو لريتشارد وغدا القائد الوحيد للحملة الصليبية الثالثة (١).

ورغم إنفراد الملك ريتشارد بقيادة الجيوش الصليبية في الشرق إلا أن خلافاته مع الفرنسيين لم تنته برحيل الملك فيليب وعودته إلى الغرب (٢)؛ فقد قام دوق برجنديا بصحبة القوات الفرنسية بإفشال كل مخططات الملك ريتشارد ومعارضة مشاريعه (٣)، وآثروا الذهاب إلى مدينة صور برفقة المريكز كونراد على أن يخوضوا غمار المعارك ضد المسلمين (٤).

وفي تلك الأثناء أخذت الأخبار تترى على الملك ريتشارد بسوء أحوال إنجلترا، وكان لزاماً عليه سرعة الرحيل لتدارك الأوضاع هناك (٥)، لكن كان لابد قبل رحيله من حسم مشكلة الصراع على تاج مملكة بيت المقدس، فعقد اجتماعاً وعرض على المجتمعين حرية اختيار أحد المتنافسين، إما جى أوف لوزجنان أو كونراد أوف مونتفرات، فأجمعت الآراء على اختيار كونراد ملكاً، فوافق ريتشارد على هذا الاختيار، وأرسل مبعوثيه بقيادة هنرى أوف شامبني إلى صور ليخبروا كونراد بما تم الاتفاق عليه. وتهلل كونراد فرحاً لاختياره ملكاً. ووافق على التوجه إلى عكا ليتم تنويجه هناك، ثم عاد هنرى أوف شامبني إلى عكا ومنها رحل إلى عسقلان لمقابلة الملك ريتشارد (٦)، وفي طريقه بلغه مقتل كونراد في صور يوم الثلاثاء ٢٨

انظر أيضاً: سعيد عاشور: الأيوبيون والمالكي في مصر والشام، ص ٧٤.

(١) عزيز سوريال عطية: الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة: فليب صابر سيف، مراجعة: أحمد خاكي، دار الثقافة، ط ٢، القاهرة، ص ٦٩. محمود سعيد عمران: محاضرات في عصر الحروب الصليبية محاضرات في عصر الحروب الصليبية، الإسكندرية، ١٩٧٦-١٩٧٧، ص ٧٧.

(٢) زينب عبد القوي: المرجع السابق، ص ١٣٤.

(3) Ambroise, Op.Cit., p. 278 ;

مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج ٢، ص ١٠٠، ١٣٣، ١٣٧-١٣٨، ١٤٣، ١٤٧-١٤٨، ١٥٣-١٥٤، ٢٦١-٢٦٢. ذيل ولیم الصوري، ص ٢١٨؛

(4) Jacques De Vitry, Op.Cit., pp. 116 - 117

(٥) مؤرخ مجهول: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥٧-١٥٦؛

Geoffrey de vinsouf, Op.Cit., p 283 ;

انظر أيضاً: سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ٢، ص ٦٩٦.

(٦) مؤرخ مجهول: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥٨، ١٥٩، ١٦١ =

أبريل ١١٩٢م ، فعاد إلى مدينة صور حيث تم اختياره زوجاً لإيزابيلا أرملة كونراد الوريثة الشرعية ، وبذلك توج هنري ملكاً في مايو ١١٩٢م (١) وباختيار هنري أوف شامبني ملكاً على مملكة بيت المقدس تم القضاء على أمل جى أوف لوزجنان في استعادة عرشه ، وبالرغم من أنه كان يحكم قبرص فقد كان ما يزال مطالباً بالعرش ، ولكن تخلى عنه أمراء الصليبيين وفرسانهم ، ولم يستطع ملك إنجلترا نفسه أن يفرض عليهم ملكاً لا يرغبونه (٢) .

كما سبق يتبين لنا أن الخلافات السياسية بين ملكي إنجلترا وفرنسا حالت دون قيام الملكين بعمل إيجابي ضد المسلمين ، فقد كان وجود فيليب ورينشارد في معسكر واحد كفيلاً بحدوث النزاع والفرقة وعدم الاتحاد والتعاون . والواقع أن روح العداء والخلافات بين العاهلين لم تكن وليدة الحملة الصليبية الثالثة ، وإنما كانت متأصلة بينهما قبل اشتراكهما في الحملة الصليبية .

=Ambroise , Op.Cit., p 330 ; CF.also : Philip Henderson , Richard Coeur de lion, London , 1958 , p 149 .

(١) عن اختيار هنري ملكاً انظر :

Ambroise , Op.Cit., p 339 , 343 ;

أنظر أيضاً : ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، مجلد ٤ ، ج ٢ ، ص ٦٤ . ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٨١ - ٣٨٢ . العماد الأصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق : محمد محمود صبيح ، القاهرة ، ١٩٦٥ م . ص ٥٩٠ ، ٦١٠ ؛

CF.also: Alfred Duggan, Op.Cit, p 194. ; Philip Henderson , Op.Cit., p 149 ; Archer , Op.Cit, p 341 ;

أيضاً ميشيل بالار : الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادى عشر إلى القرن الرابع عشر ، ترجمة : بشير السباعي ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط ١ ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م ، ص ١٩٩ ؛ أسامة زكى زيد : الصليبيون وإسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية (القرن الثانى عشر الميلادى / السادس الهجرى) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٨٠ م . ص ٢٣٥ .

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٩٨ ؛ جوناثان رايل سميث : الاستبارة فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص ١٠٥٠ - ١٣١٠ م ، ترجمة : العميد الركن صبحي الجابي ، ط ١ ، دمشق ، ١٩٨٩ ، ص ١٢٦ .

كذلك لم يكن ملكا انجلترا وفرنسا في حالة سلام وتفاهم ؛ ولو تفاهما وتظاهرا بأنهما على رأى واحد وهدف واحد وهو الاستيلاء على أراضى المسلمين لتغير الوضع . وهكذا انعدم التعاون بين الملكين وكان الخلاف بينهما هو السمة السائدة .

وبدلاً من أن تأتى الحملة الصليبية الثالثة للثأر للصليبيين لهزيمتهم في حطين واسترداد بيت المقدس من أيدي المسلمين إلا أنها كانت بمثابة القنطرة التى نقلت خلافات ملكى إنجلترا وفرنسا من الغرب الأوروبى إلى الشرق اللاتينى ، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد فحسب بل شاركاً بأفعالهما في توسيع شقة الخلاف بين الصليبيين في الشرق الأمر الذى أدى في النهاية إلى عدم تحقيق ما خرجوا من أجله .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر الأجنبية.

ثانيا : المصادر الأجنبية المعربة.

ثالثا : المصادر العربية المطبوعة

رابعا : المراجع الأجنبية .

خامسا : المراجع العربية والمعربة .

أولا : المصادر الأجنبية.

- Ambroise: The Crusade of Richard Heart of Lion, Trans from the old French by Menton Jerome Hubert, with notes and documentation by J.L. La Monte, Newyork, 1943.
- Geoffrey of Vinsauf: Crusade of Richard Coeur De Lion, in chronicles of the crusades, London, 1892.
- Historia de Expeditione Fridrici imperatoris et Qvidam Alii Rervm Gestarvm Fontes Eivsdem Expeditions von, chroust, Berlin, 1928.
- Jacques De vitry: The history of Jerusalem A.D 1180, trans From original latin by Aubrey Stewart, M.A, in P.P.T.S, T1X, London, 1896 .
- Makhairas,L;Recital Concerning the Sweet Land Of Cyprus entitled Chronicle,Edited with A Translation and Notes By R.M.Dawkins 2vols ,Oxford , 1932 .
- Nicetas choniates: Ocity of Byzantium Annales of Nikitas choniates , by Harry Magoulas , Detroit,1984.
- Richard of Devizes: crusade of Richard coeur de lion in chronicles of the crusades, London & New York, 1892.
- Roger of Hoveden: The Annals, Comprising the history of England and other countries of Europ from 732 to A.D1201, trans by Henry T.Riley , 2 vols,vol 2. New York, 1968 – London, 1853, in Internet medieval source book.

- Smbat: La chronique ATtribué Au connétable smbat, introuduction Et notes par Gérard Dé Déyan, Paris, 1980.

ثانيا : المصادر الأجنبية المعربة.

- جوانفيل : القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة و تعليق : حسن حبشي ، ط ١ ، القاهرة، ١٩٦٨.
- مؤرخ مجهول : الحرب الصليبية الثالثة ، ج٢ ، ترجمة وتعليق : حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠ م.
- وليم الصوري : الذيل ، حسن حبشي-، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠ م.

ثالثا : المصادر العربية

- ابن أيك الدواداري (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) : ابن بكر بن عبد الله : كنز الدرر وجامع الغرر، ج٧ الدر المطلوب في أخبار بني أيوب ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ، ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م .
- ابن العديم (ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م) : كمال الدين بن ابي جرادة : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ج٢ ، حققه وقدم له سهيل زكار ، دار الكتاب العربي ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٩٧م .
- ابن الفرات (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م) : ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم : تاريخ ابن الفرات ، عنى بتحرير نصه ونشره : د حسن محمد الشباع ، المجلد الرابع ، ج٢ ، جامعة البصرة ، ١٩٦٩م .
- ابن واصل (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م) : جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج ١-٣ ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٥٣م .
- ابو شامة (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م) : عبد الرحمن بن إسماعيل بن عثمان شهاب الدين : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ج٢ في مجلد واحد ، القاهرة ١٢٨٨هـ .
- أبو المحاسن (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج١٢ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٩-١٩٤٢م .
- الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م) : عماد الدين محمد بن محمد بن حامد : الفتح القسي- في الفتح القدسي ، تحقيق : محمد محمود صبيح ، القاهرة ، ١٩٦٥م .
- العيني (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م) بدر الدين محمود : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (العصر الأيوبي) ، ج٢ ، ٥٧٩هـ - ٥٨٩هـ / ١١٨٢-١١٩٣م ، تحقيق و دراسة ك محمود رزق محمود ، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ٢٠٠٤

- المقریزی (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) : تقى الدين أبو العباس أحمد بن علی : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ٥٦٨هـ - ٦٦١هـ ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٧م .

رابعاً : المراجع الأجنبية .

- Archer T.H, and Kings Ford, C.L: The crusades story of latin kingdom of Jerusalem, London, 1914.
- David Nicolas: The Evolution of Medieval world: society, Government and thought in Europe 312 - 1500, first published, New York, 1992.
- Duggan, Alfred: The story of the crusades, first published, Great Britain, 1963.
- Elizabeth Hallom: chronicles of the crusades "Eye witness accounts of the wars between Christianity and Islam ", London, 1989.
- Grousset, Réne: Histoire des croisades et du Royaume France de Jerusalem, 6Toms, Paris, 1981.
- General E ditor: Esmond , the Medieval and Renaissance world (A history of civilization from the Dark ages to the Renaissance) published by, The Hamlyn publishin Group limited, 1979.
- Philip Henderson: Richard coeur de Lion, London, 1958.
- Revitè- Orton C.W.P: The shorter Cambridge medieval history, 2vols, v.1 (the later Roman empire to the twelfth century), Cambridge, 1979.
- Setton, K.M.A: History of the crusades (1189 - 1131), Edited by Robert Lee Wolff and Harry W.Hazard, London 1969.
- Terry Jones and Alan Ereira: Crusades, New York, 1995.

خامساً : المراجع العربية والمعرية .

- إبراهيم خميس : جماعة الفرسان الداوية في كتاب دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٢م .
- أسامة ذكي زيد : الصليبيون وإساعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية (القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٨٠م .
- آلبير شاندرور : صلاح الدين الأيوبي (البطل الأنقى في الإسلام) ترجمة عن الفرنسية : سعيد أبو الحسن ، مراجعة وتحقيق : نديم مرعشلى ، ط ١ ، دمشق ، ١٩٨٨ .
- جوناثان رايلي سميث : الأسبثارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص ١٠٥٠ - ١٣١٠م ، ترجمة : العميد الركن صبحي الجابي ، ط ١ ، دمشق ، ١٩٨٩ .
- رينه جروسه : الحروب الصليبية صراع الشرق و الغرب ، ترجمة وتعليق : أحمد أبيش ، دار قتيبة الطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١ ، دمشق - سوريا ، ٢٠٠٢ .
- رأفت عبد الحميد : قضايا من تاريخ الحروب الصليبية ، ط ١ ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ١٩٩٨ .

- زينب عبد الحميد عبد القوي : الإنجليز والحروب الصليبية في الفترة من ١١٨٩ - ١٢٩١ م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، القاهرة، ١٩٩٦ .
- ستيفن رانسيان : تاريخ الحملات الصليبية ، ٣ ج، ترجمة : نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٩٨ .
- ستانلي لين بول : صلاح الدين وسقوط مملكة القدس ، ترجمة عن الإنجليزية فاروق سعد أبو جابر، مطابع الأهرام التجارية - مصر ، ط١ ، ١٩٩٥ .
- سعيد عبد الفتاح عاشور :
 ■ الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى ، ٢ ج ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٩٤ .
- الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- قبرس والحروب الصليبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢ م .
- عزيز سوريال عطية : الحروب الصليبية و تأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب ، ترجمة : فليب صابر سيف، مراجعة : أحمد خاكي ، دار الثقافة ، ط٢ ، القاهرة .
- محمود سعيد عمران :
 ■ محاضرات في عصر الحروب الصليبية ، الإسكندرية ، ١٩٧٦ - ١٩٧٧ .
- تاريخ الحروب الصليبية (١٠٩٥ - ١٢٩١) ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٠ م
- ميشيل بالار : الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادى عشر- إلى القرن الرابع عشر-، ترجمة : بشير السباعي ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م .
- ميخائيل زابوروف : الصليبيون في الشرق ، ترجمة : إلياس شاهين ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨٦ م .
- يوشع براور : الاستيطان الصليبي في فلسطين (مملكة بيت المقدس) ، ترجمة : عبد الحافظ عبد الخالق البنا ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠١ م .